دور القرآن الكريم في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها

*علي عبد الله علان**

ملخص

حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من النقص والاندثار على مر الزمان، وجعل لها الصدارة والعالمية لقرون في ظل دولة الإسلام كما أظهرها الله إلى يوم الدين.

واللغة الحية هي التي تكون مشايعة بتطور دلالات ألفاظها لما يستحدث في حياة أبنائها.

وتبحث هذه الدراسة في دور القرآن الكريم في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها، وجعلت بين يدي الدراسة تمهيداً: بينت فيه أقوال العلماء في الزمان المعتد به لمعرفة معاني ألفاظ اللغة العربية، وذكرت أقوال المستشرقين التي تُقر بأثر القرآن الكريم عليها، ثم كانت الدراسة التطبيقية الميدانية لظاهرة قرآنية في حفظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها، متلمساً الجدة في القيمة العلمية في ذلك كله، ثم نتائج هذه الدراسة.

الكلمات الدالة: القرآن الكريم، اللغة العربية.

المقدمـة

لقد أنزل الله القرآن الكريم معجزة تدل على صدق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فتحدى بها العرب فعجزوا عن معارضته بالبيان، وتحولوا إلى محاربته بالسنان، فكان البرهان القاطع على أنه رسول الله البشير النذير.

وكان القرآن الكريم الحافظ لهذه اللغة العربية الدافع لدراستها لغويا وصرفياً ونحوياً وبيانيا... وليس هذا فحسب بل إن نزوله بهذه اللغة جعل لها الصدارة والعالمية بين لغات البشر لقرون من الزمان، وامتدت بامتداد الفتوحات الإسلامية، وغزت لغات البشر الأخرى في عقر دارها، وهوت إليها أفئدة الداخلين في الإسلام الناطقين بها وبغيرها، كيف لا؟! وهي لغة كتاب ربهم فدراستها بحد ذاتها –مع النية– عبادةً لله واستعانةً على فهم مراده من كتابه، وتحقيقاً لواجب التدبر والتفكر، وهي لغة عبادتهم لربهم وذكرهم له والصلاة على نبيهم، ولغة الحكم في تلك البلاد المفتوحة.

فترتب على ذلك أن تكون هذه اللغة مؤثرة ومتأثرة سواء أكان من جهة ثراء الألفاظ والمفردات أم من جهة توسع وتطور دلالاتها ومعانيها، وكتبت دراسة مستقلة –محكمة[1]– في حقيقة التطور الدلالي في اللغة العربية وعوامله وأشكاله والعوائق التي تحول دونه والمعضلات التي تواجهه، ثم انقدح في ذهني أن هذا القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية من النقص والاندثار، وجعل لها الصدارة والعالمية لقرون من الزمان، هل حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها؟ فكانت هذه الدراسة التطبيقية على ألفاظ من القرآن الكريم محاولة للإجابة، والله ولي التوفيق.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي سرداً –غير مقسمة إلى مباحث– فجعلت بين يدي الدراسة التطبيقية تمهيداً: بينت فيه أقوال العلماء في الزمان المعتد به لمعرفة معاني ألفاظ اللغة العربية، وذكرت أقوال المستشرقين التي تُقر بأثر القرآن الكريم عليها، متلمساً الجدة في القيمة العلمية والعرض، ثم نتائج هذه الدراسة.

أهمية الدراسة

لفت انتباه الدارسين والباحثين المحدثين بالتواصل مع القرآن الكريم في تدريسهم ودراساتهم اللغوية، وتلمس جمال التعبير القرآني في سرّ اختيار اللفظة الأدل على المعنى في سياقها، والذي يؤكد دور القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها، ويرفع معاناتها من العجمة التي أصابت أهلها والإبهام الذي يُلاحقها بتداخل أهل اللغات الأخرى بين أهلها، أو بالانفتاح العالمي الإعلامي والتعليمي والتقني، فهي قوية بذاتها خالدة بخلوده، ويرحم الله الأستاذ الرافعي (1356هـ) لما قال: "غير أنه قد أصابها ما أصاب أهلها من تبدد الكلمة

* جامعة البلقاء التطبيقية، عمان، الأردن. تاريخ استلام البحث 2013/6/20 وتاريخ قبوله 2013/10/3.

واضطراب الأمر ووهن الاستقلال وتمزق المجتمع، فأصبحت كأنها محكومة بقوة خفية، لا يعرف ما هي ولا يظهر منها إلا أثرها، الذي تتبينه فيما لحق اللغة من الضعف وما رهقها من العجز، وفي جمودها على حال واحد، كأنها مقبورة في كتبها منذ تراجع التمدن الإسلامي أيام العباسيين، **ومتى كانت اللغة صورة الأمة، فإن كل ما يعتور هذه يتصل أثره بتلك ضرورة**"[(2)].

* إن هذه الدراسة تدلل تجاوز اللغة العربية حدود الزمان والمكان، واستحالة انقراضها، وتبين ثراء اللغة العربية وسعتها في ألفاظها.

مشكلة الدراسة

- عدم تفريق بعض الباحثين بين التطور الدلالي للألفاظ والنقل القسري لها.
- وجود الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية.

الدراسات السابقة

سبقت دراسة للدكتور عودة أبو عودة بعنوان "دراسة دلالية للمصطلحات القرآنية" – رسالة ماجستير في جامعة القاهرة عام 1981م– بحث فيها التطور الدلالي للمصطلحات القرآنية سواء أكانت في العقيدة أو في العبادات.... إلى غير ذلك، بينما أبحث في دراستي هذه دور القرآن الكريم في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية .

ودراسته هذه لا تتوافق مع كثير مما يقرره فقهاء اللغة العربية الذين يرون أن التطور الدلالي للألفاظ عفوي لا قسري، وهذه المصطلحات سواء أكانت دينية أو علمية في الطب وغيره تأتي قسرية من جهة ما، وهم يرونه توسعاً دلالياً اصطلاحياً لا تطوراً وسيأتي بيان لهذا.

تمهيد:

نزول القرآن الكريم والتطور الدلالي في معاني ألفاظ اللغة العربية

هيّأ الله بحكمته مكة مهوى أفئدة قبائل العرب دينياً ثم تجارياً في الجاهلية، لتكون مهد نزول القرآن الكريم، حيث كانت تلتقي فيها قبائل العرب متبادلة مدلولات الألفاظ ومعانيها في لهجاتها المتعددة، فكان حافظاً لها من النقص والاندثار، وما جهود العلماء العظيمة التي يعجز اللسان عن وصفها في الدراسات اللغوية والصرفية والنحوية والبيانية إلا خدمة لكتاب الله وتوفيقاً منه سبحانه ليتحقق وعده في قوله تعالى: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" (الحجر: ٩).

ولقد قيد العلماء الزمان المعتد به لمعرفة معاني ألفاظ اللغة العربية وقواعدها وأصولها، بل ذهب محمد ابن إسحاق (151هـ) إلى امتناع الزيادة على اللغة بعد القرآن الكريم، حيث نقل عنه ابن النديم (438هـ) قوله: "وإن الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم لأجل القرآن"[(3)]، وعلق العلايلي[(4)] عليه فقال: "ومعنى هذه العبارة كما هو صريحٌ منها أن العربية كانت خاضعة للتغايرات المستمرة على الدوام، فهي بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة، وهذا هو الغرض المقصود من التطور الذي يُجتهد بإثباته، ومعنى عزو الامتناع من الزيادة إلى القرآن، أن القرآن نظم من حواشي العربية وأخضعها لقانون بياني ثابت، وأمات ما هو متراوح الفوضى فيها، وانتاشها بحيوية أخرى جديدة"[(5)].

فالقرآن جعل في اللغة العربية الروح الخالدة بخلوده، فكانت نضرة حية به، قابلة للتطور مع احتفاظها بأصولها المبثوثة فيه.

وما كان من المستشرقين إلا أن اعترفوا بدوره وأثره على اللغة، فقال نولدكه[(6)]: "وأن العربية لم تصر لغة عالمية حقاً إلا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة قريش فتح البدو – سكان الصحراء– نصف العالم لهم وللإيمان، وبهذا صارت العربية لغةً مقدسة كذلك"[(7)]، ويقول كارل بروكلمان[(8)]: "وقد انتشرت اللغة العربية عن طريق القرآن انتشاراً واسعا، كما لم تنتشر أي لغة أخرى من لغات العالم، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة، ولهذا السبب تفوقت اللغة العربية تفوقاً كبيراً، حتى بعد ظهور الآداب المحلية في النواحي العلمية حتى اليوم"[(9)].

ولأنه يرى كثير من الباحثين أن التطور الدلالي للألفاظ ظاهرة عفوية [(10)] في اللغة، بانتقال معانيها من المادية الحسية إلى المعنوية المجردة[(11)]، حتى أثبت بعضهم الإجماع على ذلك[(12)]، وأن أشكاله: إما بالتوسع في استعمال اللفظ بالمعنى المجازي وهو الشكل الرئيسي في التطور اللغوي، يقول الأستاذ الرافعي: "والمراد من المجاز التوسع في الحقيقة"[(13)] ويقول: "لا جرم كان للمجاز في اللغة هذا الأثر الذي بسط منها حتى فاضت أطرافها على المعاني، وتهيأ فيها من أنواع الوضع وطرق التعبير ما يعد في اللغات ميراثاً خالداً تُستقَل منه المعاني في كل جيل، ويضمن للغة الثروة وإن أفلس أهلها[(14)]... والوضع بالمجاز يعتبر اشتقاقاً معنوياً فيما لم يتهيأ للعرب أخذه من طريق الاشتقاق، أخذوه بالنقل عن طريق المجاز، **وبذلك وسعوا لغتهم**[(15)]..." وإما بالتضييق بقصر الدلالة العامة للفظ على دلالة خاصة، فكانت هذه الدراسة التطبيقية ميدانية لظاهرة قرآنية: وهي تردد اللفظ فيه بين

الحقيقة والمجاز، والتي تكشف عن دور القرآن في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها.

ورأيت من متمات دراستي لهذه الظاهرة أن أحاول تلمس السر[16] الإعجازي في إيراد اللفظ بالمعنى المجازي مع قصور شأني أمام عظمة القرآن وإعجازه، وأمام العلماء الأفذاذ الذين تصدروا أبوابه وسبقوا إلى صدره من السابقين والمحدثين، ولكنه واجب التدبر والتفكر، والله المعلم عباده ما يريد.

ونحن لا تعنينا في دراستنا هذه المصطلحات الشرعية التي عدّها الدكتور عودة أبو عودة[17]، تطوراً دلالياً، ووافقه على أن الدين من عوامل التطور الدلالي الدكتور أحمد حماد[18] وحاكم مالك لعيبي[19]، ويمثلون لذلك بلفظ الصلاة والحج... والجنة والنار...

وهم بهذا يخالفون أكثر الباحثين في فقه اللغة العربية، وعميدهم من السابقين ابن فارس (365هـ) حيث يقول في حديثه عن المصطلحات الإسلامية: "ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء... فالوجه في هذا إذا سُئل عنه أن يقول: في الصلاة اسمان: لغوي وشرعي، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء الإسلام به"[20]، ورائدهم من المُحدَثين الدكتور علي عبد الواحد وافي (1412هـ) – الذي يُعد من أسبق من ألف في فقه اللغة العربية في العصر الحديث، فالطبعة الرابعة من كتابه كانت عام 1957م – حيث لا يعدون الدين عاملاً في تطور اللغة، لأنه يرونه قسرياً لا عفوياً ومن خارج دائرة الإنسان الناطق باللغة.

وهو الأرجح لأنه بحسب ما توافق عليه فقهاء اللغة في حقيقة التطور الدلالي، وأنه يحدث عفوياً، فإن المصطلحات الشرعية وعموم مصطلحات العلوم ليست من أثر التطور الدلالي للألفاظ، وإنما هي نقل للألفاظ من المعنى اللغوي إلى معنى اصطلاحي مع ملاحظة وشيجة علاقة بين المعنيين.

وهو تغيير بالنقل القسري بالوحي إن كانت مصطلحات شرعية ولكنها ثابتة بثبوته، أو بتغيير من فئة من الناس من أصحاب التخصصات العلمية أو غيرها، والتي قد يغمض معناها في الذهن بتغير الأزمان والأقوام، يقول الأستاذ الرافعي: "والمصطلحات اللغوية التي تتغير بتغير الأزمان والأقوام، فإذا انقرض أهلها انقرضت معهم، وبقيت ألفاظها في اللغة مبهمة في ذاتها، حتى إذا ألحقت بالشرح التاريخي أو اللغوي الذي يكشف غموضها ويزيل إبهامها دخلت في الحياة الذهنية، ولكنها تبقى مع ذلك بقايا أثرية في اللغة"[21] ومثل لذلك بما في الشعر الجاهلي من ألفاظ وحشية خشنة، وألفاظ مماته (كالمرباع) أي ربع الغنيمة للرئيس في القوم والذي صار في الإسلام الخمس[22].

قلت: ولا بد من التنويه على أن القرآن لم يحفظ ألفاظ اللغة في أصالتها وتطورها العفوي فحسب، بل حفظ كذلك ما نقل من المعنى اللغوي إلى الاصطلاحي بالقسر، وهما –في رأيي– توسعان في اللغة: الأول: عمودي، والثاني: أفقي.

الألفاظ القرآنية والتطور الدلالي لمعاني ألفاظ اللغة العربية دراسة تطبيقية

أقدم في هذه الدراسة التطبيقية أمثلة لبيان دور القرآن الكريم في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها والتدليل عليه.

وأبدأ بهذا المثال الذي بين فيه الأستاذ الرافعي حقيقة التطور في اللغة العربية وتوسعها حيث قال: "وقد رأينا أن ننقل مادة من مواد اللغة تمثل هذا الوضع وكيف اتسعت به اللغة حتى قُلب المعنى الواحد على صور كثيرة... وهي مادة "ك ف ف".

فأصل المعنى فيها: الكفُّ: وهي الجارحة المعروفة" ثم اشتقوا منها قولهم كفه عن الأمر: إذا منعه، كأنه دفعه بكفه، فنقلوا معنى الكف إلى لازمها وهو من المجاز المرسل.... ثم قيل استكف السائل وتكفف: إذا طلب بكفه، ويقال أيضاً استكف بالصدقة: إذا مد يده بها يعطيها، فضمن الأول معنى الاستعطاء، والثاني معنى الإعطاء.... ومن هذا القبيل قولهم: استكففت الشيء: إذا استوضحته بأن تضع كفك على حاجبك كمن يستظل من الشمس، ومن معانيها:" كفّ عن الأمر"إذا كف بصره وهو من المجاز المرسل.... ومنه قيل "كفاف من الرزق:" أي ما كف عن البأس وأغنى... ثم قيل من معنى الكف للجارحة كفة الميزان... ولأن كفة الميزان مستديرة– قيل كفة القميص وكفة الثوب... بحيث ترى المعاني سلسلة متصلة من أول المادة إلى آخرها"[23].

قلت: ولو نظرت في القرآن لرأيته قد احتفظ بالأصل المادي لهذه الكلمة كما في قوله تعالى: "**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**" (الكهف: ٤٢) والمعنى المعنوي المتطور للكلمة كما في قوله: "**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**" (النساء: ٨٤).

أكـل:

ورد لفظ (أكل) بتصريفاته في القرآن الكريم في مائة وتسعة مواضع أكثرها بدلالته ومعناه الحقيقي، نحو قوله تعالى: "**وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**" (البقرة: ٥٧) وقوله تعالى: "**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ**

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" (البقرة: ١٨٧).

وأما معناه في اللغة:

"قال الخليل (170هـ) الأكل معروف، وتقول أكلت الطعام أكلاً ومأكلاً، وقال ابن سيده (458هـ): أكل الطعام يأكل أكلا فهو آكل، والجمع أكلة وأمره كل، والإِكْلة: الحال التي يأكل عليها، والأُكْلة اللقمة، وفي الحديث: "ما زالت أُكلة خيبر تُعادُّني"، وتقول أكلت النار الحطب على طريقة التشبيه، ويرى ابن فارس أن أصل الكلمة بكل تصريفاتها يدل على التنقص(24).

وأقول: بناء على ما تقدم فالأكل حقيقته: إدخال الطعام إلى الجوف من الفم بقصد تمام الانتفاع به، ومما لا يمكن الرجوع به ولا مطمع فيه بعد دخوله فهو من أعلى درجات التملك والاختصاص بالنسبة لفاعله.

وورد فعل الأكل بدلالته ومعناه المجازي في خمسة عشر موضعاً(25)، ومنها قوله تعالى: "**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**" (البقرة: ١٨٨) وقوله تعالى: "**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**" (النساء: ٤) وهي جلها في إسناد الأكل إلى المال.

يقول الراغب الأصفهاني في بيان سر هذا الاستعمال:"عبر بالأكل مع إنفاق المال لمّا كان الأكل أعظم ما يحتاج فيه إلى المال لقوله تعالى: "**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**" (البقرة: 188)"(26).

ولكن بعد النظر أقول: الأكل في معناه المجازي في هذه المواضع مستعار للاستيلاء على مال الغير بقصد الانتفاع به بما يمنعه عن الآخرين، دون مطمع بالرجوع به، وبهذا يَشْبه الأكل بمعناه الحقيقي من جميع وجوهه، ولعل سر استعماله لفعل الأكل مع الاستيلاء على المال دون غيره من الألفاظ لكمال الاختصاص به والتملك، ولأنه أشد صور الانتفاع التي لا يمكن العودة بها على من يستحقها أو على صاحبها، ولذلك استعمل القرآن في حال أخذ المال على وجه يمكن الرجوع به، وتملكه مؤقت فعل (قرض) فقال: "**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**" (الحديد: ١١)، كما أنه لم يستعمل لفظ الأكل مع أخذ مال الزكاة والصدقة، وإن كان فيها كمال تملك للمدفوع له، لأن دافعه ينتظر مردوده مثوبة من الله، وهذه صورة من صور فصاحة ألفاظ القرآن في مواضعها وسياقاتها، كما تسهم في إعجازه البياني وفي حفظ ألفاظ اللغة في أصالتها وتطورها.

بـوب:

ورد لفظ (بَوَبَ) بتصريفاته في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً، أكثرها بدلالته ومعناه الحقيقي نحو قوله تعالى: "**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**" (البقرة: ٥٨) وقوله تعالى: "**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ**" (يوسف: ٢٥) وقوله تعالى: "**وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ**" (الزخرف: ٣٤).

وأما معناه في اللغة:

"الباب معروف بمعنى المدخل والطاق الذي يدخل منه، كمداخل الأمكنة ومدخل المدينة والدار... وهو بمعنى ما يغلق به ذلك المدخل من الخشب وغيره، والفعل منه التبويب، والجمع أبواب، والبوّاب الحاجب، وتبوبت بواباً أي اتخذته، ومن المجاز: بابات الكتاب سطوره، وقيل وجوهه وطرقه، والبابة الوجهة قاله ابن الأنبا ري (328 هـ)(27).

وأقول: بناء على ما تقدم فإن العرب استعملت لفظ الباب بمعناه المادي وهو المدخل إلى الشيء، واستعملته في الكتاب مجازاً حيث إن أبواب الكتاب مداخل لموضوعات العلم الذي ألف فيه ذلك الكتاب.

وورد لفظ بَوَبَ بدلالته ومعناه المجازي في القرآن الكريم في سياقين، في سياق النعمة والخير–استدراجاً– نحو قوله تعالى: "**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**" (الأنعام: ٤٣-٤٤)، وفي سياق الوعيد بالعذاب نحو قوله تعالى: "**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)**" (المؤمنون: ٧٦-٧٧).

والذي دل على أن سياق لفظ الأبواب في آية الأنعام الخيرات المستدرج بها:أنها جاءت في مقابلة الضراء والبأساء الحالة السابقة التي أخذ الله بها الأمم السابقة – المضروبة مثلاً – ولفظ (الأبواب) استعارة عن أسباب الخيرات أو الخيرات ذاتها، ولا شك أن في لفظ (فتح) استعارة لإزالة الحال المؤلمة كما سمى (الظهور على العدو) فتحاً لإزالة حال القهر والغم والذل، وسمى (النصر) فتحاً إن كان معه دخول أرض العدو – كما في فتح مكة– ولا شك أيضاً أن للجمع دلالة، وللتنكير وللتعميم دلالة، ولكن بحثنا عن دلالة استعمال لفظ (الباب) في المعنى المجازي في القرآن وسره، سواء كان في سياق الخير المستدرج به أو في سياق الوعيد بالعذاب.

فتراه استعمل لفظ الباب دون غيره للدلالة على المفاجأة بالشيء– المفتوح عنه– بعد كونه محجوزاً ممنوعاً، وعلى اندفاعه وتتابعه وكثرته، وكأنه تشبيه بانفجار شيء مختزن نحو قوله تعالى: "**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**" (القمر: ١١)

وقولهم "فتح الباب على مصراعيه" – تمثيلاً للكثرة– كما له دلالة أخرى:وهي وجود حالة مخالفة سابقة للحال اللاحقة، وفيه دلالة على أنه كما انفتح يمكن أن ينغلق، أي إن هذه الحالة الجديدة (اللاحقة) قد تتبعها الحالة السابقة عليها[28] وهذا يؤكد دور القرآن في حفظ اللغة العربية.

بَـوَرَ:

ورد لفظ (بور) بتصريفاته في القرآن الكريم في خمسة مواضع، جاء في موضع واحد بدلالته الحقيقية في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**" (فاطر: ٢٩)، فالبور جاء بمعناه الحقيقي، والمجاز في لفظ التجارة.

وأما معناه في اللغة:

"من الكساد لقولهم بارت السوق إذا كسدت، والأرض البور – بالفتح – التي لا تزرع، وقيل الأرض التي لا تصلح للزرع وقال أبو عبيد (224هـ) وهو مجاز والبائر الكاسد، وقال الزجاج (311هـ): البائر الفاسد، وقال الجوهري (393هـ) البور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه، وقال الخليل البوار: الهلاك وبار بَوْرا وبَوَارا وأبارهم الله أهلكهم، وفي الحديث "نعوذ بالله من بوار الأيم"[29]، أي كسادها، وقيل بُور جمع بائر، وحكى الأخفش (177هـ) إنها لغة وليس بجمع لبائر، كما يقال أنت بشر وأنتم بشر، وقال الفراء (207هـ) مصدر يكون واحدا وجمعاً[30].

وأقول: بناء على ما تقدم فالبور في أصل وضعه بمعنى الكساد، ويعبر به عن الماديات كالتجارة والأرض ونحوهما، ويترتب على الكساد المعنى المجازي بالفساد والهلاك فهو من نتائجه.

وورد لفظ (بور) في أربعة مواضع بمعناه المجازي في قوله عز وجل: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**" (إبراهيم: ٢٨)، وقوله تعالى: "**قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا**" (الفرقان: ١٨)، وقوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**" (فاطر: 10)، وقوله تعالى: "**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**" (الفتح: ١٢).

ولقد فسر العلماء البور في معناه المجازي بالهلاك، (**دَارَ الْبَوَارِ**) دار الهلاك، (**وَكُنْتُمْ قَوْمًا**) (الفتح: ١٢) (**وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا**) (الفرقان: ١٨)، أي هلكى، (**وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**) (فاطر: ١٠) يفسد، وكما قال الراغب الأصفهاني: "فرط الكساد يؤدي إلى الفساد فعبر بالبوار عن الهلاك"[31].

ولكن يبقى السؤال القائم هنا لِمَ عبر عن الهلاك أو الفساد بالبور دون غيره؟ أقول: لما كان الكساد يلازمه انقطاع النفع والفائدة من ذلك الشيء البائر–وهذا لعله وجه الشبه– فعبر مثلاً في آية سورة إبراهيم عن دار الهلاك بالبوار ليفيد أنهم وصلوا إلى حالة ينقطع معها النفع والفائدة والرجاء كنحو قوله: "**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)**" (الشعراء: ٨٨ – ٨٩)، وهذا ذات ما تقوله الملائكة لمن فاتتهم فرصة الإيمان (**وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا**) (الفرقان: ١٨) وكذلك في آية فاطر حيث انقطع الأمل والرجاء والنفع عند الماكرين بالسيئات، وكذلك مكر الماكرين بسيدنا رسول الله ﷺ هو يبور يفسد، ولا يتحقق لهم ما يرجون، كما أن ظن السوء من الأعراب أوردهم البوار الهلاك.

كما إن استعمال لفظ البور يدلك على أنهم كان بإمكانهم أن يكونوا في ربح كالتاجر لو أيقظوا فطرهم والتزموا هذا الدين.

وفي هذا التعبير سرٌ آخر وكأن الآيات تقول: المكر حرصوا عليه، والظن زين لهم، ومع ذلك رده الله وبار، ليشابهوا في ذلك التاجر من حيثية أخرى الذي يزين بضاعته، ولا يألو جهداً وحرصاً على نفاقها، حتى لا تبور وتكسد، فليس مكرهم كأي مكر ولا ظنهم كأي ظن، ولولا الاستعمال المجازي للفظ البور، لما كانت هذه الظلال على الألفاظ المجاورة.

هذا بعض من سر استعمال لفظ البور ذاته، وأثره على الألفاظ المجاورة لها لتتأكد دقة القرآن في استعمال ألفاظه وإعجازه، والله أعلم بمراده.

حَبَـطَ:

– ورد لفظ حبط بتصريفاته في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً كلها بالمعنى المجازي ومسند فيها إلى عمل الكفار نحو قوله تعالى: "**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" (المائدة: ٥)، وقوله: "**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**" (الأنعام: ٨٨) وقوله: "**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**" (البقرة: ٢١٧).

وأما معناه في اللغة:

"قال ابن سيده: الحبط: وجع ببطن البعير من كلأ يستوخمه، وقال الجوهري: أو يكثر منه فتنتفخ منه بطونها، وقال الزمخشري (538هـ): من حبطت الدابة حبطاً إذا أصابت مرعى فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، وقال ابن سيده: ويطلق على الورم في الضرع أو غيره.

ومن المجاز أحبطه الله أي أبطله، قال ابن السكيت (244هـ): وقال الأزهري (370هـ): ولا أرى حبط العمل وبطلانه مأخوذ إلا من حبط البطن لأن صاحب البطن يهلك، وكذلك عمل المنافق يحبط، وقال ابن فارس: الحبط الألم – أي بعد الانتفاخ– ويدل على البطلان، وفي الحديث "إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلِمُّ"[32] انتهى[33].

وأقول:

بناء على ما تقدم أصل الحبط هو انتفاخ بطن البعير وما يصاحبه من ألم ووجع لأكل عشبة أو للإكثار منها، وما ينتج عنه من موت وهلاك، وأصبح يطلق مجازاً على النتيجة وهي البطلان والهلاك، والقرآن استعمل لفظ حبط مسنداً إلى أعمال الكفار مجازاً عن البطلان والهلاك، والتشبيه تمثيلي حيث شبه البعير الذي يأكل ليشبع شهوة بطنه، ويحقق اللذة وينتفع – نفعاً قريباً دون النظر إلى المآل– فيموت به، بالكافر الذي يعمل العمل ليحقق ثمرة من هوى نفسه ورجاء نفع ومصلحة ما، يحكمه قصر نظر شهوته فيبطله الله في الدنيا والآخرة.

ولكن السؤال القائم ما هو سر استعمال لفظ حبط بدلالته المجازية مسنداً إلى أعمال الكفار دون بطل أو هلك....؟

في استعماله دلالات: فهو يدل على أن صاحب هذا العمل يترقب نفعاً ولذة ومصلحة ولكنها فائتة، وكما يدل على أن هذا العمل كان صالحاً ففسد وبطل لعلة، كما هو الحال في البعير يهلك بعد علة تنتج مما كان يتوخى منه النفع، والعلة هنا قيامها على غير أصل الإيمان والمقصد الصحيح.

وأبرز ما يدل عليه أن أعمال الكفار وإن كانت في ظاهرها ذات شأن إلا أن حقيقتها فارغة منتفخة[34] لقيامها على غير الأصل الإيماني والمقصد الصحيح، كحال البعير الذي يظهر عظيم الجسم ولكنه انتفاخٌ لا سمنة، فسرعان ما يهلك، مصداقاً لقوله تعالى في أعمال الكفار: "**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**" (الفرقان: ٢٣)، وقوله: "**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105)**" (الكهف: ١٠٤–١٠٥).

وترى أن القرآن لم يستعمل هذا اللفظ إلا في دلالته الموسعة المجازية، ولكن القرآن بهذا يدعو إلى الوقوف على أصول تلك الألفاظ، فيحقق دوره في حفظ ألفاظ اللغة أصالة وتطوراً.

حَبَلَ:

ورد لفظ حبل في القرآن الكريم في سبعة مواضع، جاء ثلاثة منها بمعناه الحقيقي نحو قوله تعالى: "**فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**" (طه: ٦٦)، وقوله: "**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ**" (الشعراء: ٤٤)، وقوله: "**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)**" (المسد: ٥).

وأما معناه في اللغة:

"قال ابن فارس: أصل واحد يدل على امتداد الشيء، وقال ابن منظور (711هـ): الحبل الرباط، والجمع أَحْبُل، وأحبال، والحبل الرسن وجمعه حُبول وحِبال، وقال ابن السكيت: الحبل الوصال وجاء في كلام العرب على وجوه من المجاز: منها العهد وهو الأمان وفي الأثر:" بيننا وبين القوم حبال أي عهود ومواثيق"، وشبه به من حيث الهيئة حبل الوريد، وحبل الفقار وحبل العاتق، والحبل المستطيل من الرمل، وحبال الفرس عروق قوائمه، والحَبَلُ: شجر العنب، واستُعير الحبل للوصل، قال ابن مسعود: "عليكم بحبل الله فإنه كتاب الله" وفي الدعاء "يا ذا الحبل الشديد" قال ابن الأثير (606هـ): المراد به القرآن أو الدين، وفي الحديث: "النساء حبائل الشيطان"[35] أي مصائده وشباكه"[36] .

وورد بمعناه **المجازي** في أربعة مواضع نحو قوله تعالى: "**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**" (آل عمران: ١١٢)، وحبل الله: عهده وذمته، وحبل الناس: عهدهم وحلفهم، واتضح فيما سبق أن العرب استعملت لفظ الحبل ليدل مجازا على العهد والأمان، وأقول لعل وجه الشبه أن الحبل وصال والعهد وصال أيضاً بين الطرفين.

ومنها قوله تعالى: "**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**" (ق: ١٦)، وهو أيضاً تشبيه من حيث الهيئة والامتداد، حتى إن العرب أطلقته على عروق الفرس، والنخاع الشوكي: "حبل الفقار" والأوتار:" حبل العاتق" وشجرة العنب كما سبق بيانه.

وآخر هذه المواضع قوله تعالى: "**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**" (آل عمران: ١٠٣). وأكثر المفسرين على أن المراد بحبل الله في هذه الآية القرآن، أو ما عهد الله به لعباده من الدين، وسبق ذكر قول ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك.

ولا شك أن لفظ الحبل هنا مستعار، ولكن ما سر التعبير عن القرآن أو ما عهده الله لعباده من الدين بالحبل دون غيره؟

أقول للتعبير بلفظ الحبل عن القرآن دلالات: إنه في معنى الحبل الوصال، فهو يصل العبد بربه، وفيه معنى الرباط والارتباط، وفيه معنى الامتداد وعدم الانقطاع، فمن اعتصم بهذا الحبل (القرآن) لن ينقطع به الطريق وسيصل إلى رضوان ربه.

وأيضاً يتصور الارتقاء بهذا القرآن كما يرتقي بالحبل[37]، ويتصور النجاه به كما يستعمل الحبل للنجاة من السقوط.

خَبَتَ:

ورد لفظ (خبت) في القرآن في ثلاثة مواضع. كلها بالمعنى المجازي وهي قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23)**" (هود: ٢٣)، وقوله: "**فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**" (الحج: ٣٤)، وقوله: "**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**" (الحج: ٥٤).

وأما معناه في اللغة:

الخبت ما اتسع من بطون الأرض وجمعه أخبات وخبوت، وقال ابن الأعرابي (231هـ): ما اطمأن من الأرض واتسع، وقيل ما أطمأن منها وغمض، وقيل الخفي منه المطمئن العميق الوطيئ، وقال ابن فارس: أصله من الخبت وهو المفازة لا نبات فيها، وأخبت الرجل إذا قصد المطمئن من الأرض، ومن المجاز: قولهم خبت ذكره إذا خفي، وأخبت إلى ربه: اطمأن إليه، وأخبتوا إلى الله قيل: تواضعوا، وقيل: تخشعوا، وقال مجاهد في قوله : "وبشر المخبتين المطمئنين"[38] .

أقول:

بناء على ما تقدم فأصل الخبت المتسع من بطون الأرض الوطيئ العميق منها، ويلازم هذا الأصل معنى الخفاء والغموض الذي ذكره أهل اللغة.

واستعير اللفظ في القرآن الكريم ليدل على اللين والتواضع في المسلم كما في قوله: "**وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ**" (هود: ٢٣)، وقوله: "**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**" (الحج: ٣٤)، واستعير للخشوع والاطمئنان في إسناد الخبت إلى القلوب في قوله: "**فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**" (الحج: ٥٤)، ووجه الشبه جلي.

ولكن ما هو سر استعمال لفظ الخبت بمعناه المجازي في وصف المؤمن العامل للصالحات المتواضع في جنب الله، أو في إسناده إلى القلوب المطمئنة الخاشعة دون استعمال تلك الألفاظ؟

أقول: ألتمس في ذلك الدلالة التالية:

الخبت في المواضع الثلاثة الواردة في القرآن بمعناه المجازي، كانت في جنب الله، فهي دعوة إلى تواضع المسلم لله واطمئنان قلبه وخشوعه في الله، فاستعار لذلك لفظ الخبت ليكون تواضع المسلم واطمئنان قلبه وخشوعه في الله، ليس كتواضعه واطمئنانه لأمثاله من البشر، لأنه مأمور بأوسع معاني التواضع والاطمئنان في جنب الله، أخذا من معناه اللغوي (ما اتسع من بطون الأرض) وإنه لتواضع في جنب الله يلصقه بتراب الأرض واطمئنان لخالقه الذي خلقه منها، ولأنها حالة قلبية في ابتدائها فهي خفية، ثم ما تلبث إلا أن تظهر خشوعاً على جوارحه، واطمئناناً لقدر الله، ينعكس على حياته مع الآخرين تواضعاً.

فيا لعظمة كتاب الله في سره الإعجازي وفي تنميته وتوسعته لمدارك المتفكرين فيه.

خَتَمَ:

ورد لفظ (ختم) بتصريفاته في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها بالمعنى المجازي، نحو قوله تعالى: "**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**" (البقرة: ٧).

وأما معناه في اللغة:

"يقال ختم يختمه ختماً وختاماً، والختام الطين الذي يختم به الكتاب (الرسالة)، ومن حقيقته السد على الإناء كنحو الغلق على الكتاب بالطين، وهو بوضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فتح علم صاحبه من فساد يظهر على أثر النقش، وطين الختم يشبه الجبس المعروف يبل بماء ونحوه، ولقد كان للنبي ﷺ خاتماً، وكانت العرب تختم قوارير الخمر– بمعنى التغطية مجازاً– ولكن بغطاء ثابت يشبه بثبوته الختم–، وقال أبو إسحاق (إبراهيم الحربي 285هـ): "ختم وطبع بمعنى واحد وهو التغطية على الشيء، وختمت الميكال وطبعته إذا ملأته لأن الملأ علامة مانعة من تناول بعض ما فيه، وقال الزجاج: ختم وطبع بمعنى واحد في اللغة ليفيد التغطية على الشيء والاستيثاق من أن شيئاً لا يدخله، وقيل: أصل الختم التغطية، وقال ابن فارس: " أصل واحد يدل على بلوغ آخر الشيء وهو الطبع على الشيء لأنه لا يكون إلا بعد بلوغ الآخر وقال الراغب: الختم الطبع، ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء، اعتباراً بما يحصل من المنع، وتارة يعتبر فيه بلوغ الآخر، ومنه قولك ختمت القرآن: أي انتهيت إلى آخره[39].

أقول: بناء على ما تقدم فإن أصل الختم غلق الإناء وكذا الكتاب بالطين الخاص لذلك، والمعاني الأخرى التي ذكرت إما من لوازمه: نحو التغطية وبلوغ الآخر، وإما من غايته نحو: الاستيثاق والمنع من أن يختلط به شيء أو يدخله أو ينقص منه وإن كانت هذه المعاني– التي هي من لوازم المعنى الأصلي وغايته– أصبحت المراد من الختم مجازاً في كلام العرب.

وأما قول الأجلة العلماء– ممن ذكرت قولهم آنفاً– في أن الختم هو الطبع فإني أعارضه لما اعتقده في نفي الترادف حيث إن القرآن استعمل الختم على القلوب في قوله: "**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**" (البقرة: ٧) واستعمل الطبع كما في قوله: "**فَطُبِعَ**

عَلَى قُلُوبِهِمْ" (المنافقون: ٣)، وفرّق الراغب بينهما حيث قال: الطبع: تصوير شيء بصورة ما كطبع السكة، وطبع الدرهم، وهو أعم من الختم وأخص من النقش، وبه عُبر عن السجية بالطبع والطبيعة وكأنه نقش النفس بصورة ما"[40].

واستعمل القرآن لفظ (ختم) بمعناه المجازي ليدل على بلوغ آخر الشيء، كما هو الحال في استعمال العرب له، ولعل السبب في ذلك أن آخر الشيء هو موضع الختم فسمي به مجازاً، وكان هذا في موضوعين قوله تعالى: "**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**" (الأحزاب: ٤٠)، وقوله: "**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)**" (المطففين: ٢٦)، ولكن يبقى السؤال القائم: ما سر العدول عن لفظ (آخِر) مثلاً إلى لفظ ختم؟ قلت سابقاً: لعل سبب إطلاق لفظ الختم على بلوغ آخر الشيء مجازاً، لأنه موضع الختم، كما أفاد استعمال القرآن له دون لفظ (الآخِر) فائدة أخرى وهي الغاية من الفعل: وهو المنع والاستيثاق، والذي لا يمكن أن يفيده لفظ الآخِر.

كما استعمل القرآن لفظ ختم مجازاً بمعنى التغطية ليفيد لازم معناه الأصلي وهو المنع، كما هو الحال في استعمال العرب له وذلك قوله تعالى: "**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ**" (المطففين: ٢٥). وفي التعبير بالختم على قلوب وأسماع الكفار دون غيره من الألفاظ في خمسة مواضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى: "**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**" (البقرة: ٧) حيث شبه عدم حصول النفع بنفوذ الإيمان والحق والإرشاد إلى قلوبهم، وطَرْق الآيات والنذر أسماعهم بالمنع الذي يقتضيه الختم، أو أن يكون العناد والكفر منعهم من التأمل بالآيات وطرقها أسماعهم وقلوبهم فاشتركا في المنع، وسبق بيان الفرق بين الختم والطبع، كما قد استعار القرآن للقلوب الغفلة والأكنة والقساوة.

مَـرَدَ:

ورد لفظ مرد بتصريفاته في القرآن الكريم في خمسة مواضع، أحدها بالمعنى الحقيقي وهو قوله تعالى: "**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**" (النمل:٤٤)، أي مملس وهذا ما عليه أكثر المفسرين[41].

وأما معناه في اللغة:

قال ابن الأعرابي: المرد نقاء الخدين من الشعر، ونقاء الغصن من الورق، والأمرد الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطر شاربه ولم تبد لحيته، وفي الحديث "أهل الجنة جرد مرد[42] أي مرد على الحقيقة، وقيل معرون من القبائح والسوء، ورملة مرداء متسطحة لا تنبت، والجمع مُرُد، وقيل عنه: المرد: التطاول ومنه مردوا على النفاق تطاولوا عليه1هـ وقال الراغب مردوا عن المحاسن والطاعة- وقال الأصمعي: مَرّدت الشيء إذا صقلته، وصرح ممرد من قوارير مملس.

وقال علي بن عيسى (556هـ): أصله الملاسة، وقال ابن عرفة (716هـ): أصله الظهور، ومنه قولهم شجرة مرداء إذا تساقطت أوراقها وأظهرت عيدانها.

وقال الفراء مرد على الكلام: إذا مرن عليه، وأصل التمرد التمرن والاعتياد، كقوله مردوا على النفاق أي مرنوا عليه.

وقال ابن فارس: أصل صحيح يدل على تجرد الشيء من قشره، أو ما يعلوه من شعره، والمراد العنق تبعاً للأصل، ومن المجاز: المارد من الرجال العاتي الشديد وكأنه تجرد من الخير واللين في عتوه، وهو مأخوذ من قوله تعالى (شيطان مارد) سواء من الأنس أو الجن لتعريه من الخيرات، ومنه أيضاً الممرد البناء الطويل تشبيها بالشجرة المرداء[43].

أقول: بناء على ما تقدم فإن أصل استعمال لفظ (مرد) في معناه المادي في نقاء الغصن وتجرده من الورق ونقاء الخدين من الشعر، وشبهت بهما الأرض المتسطحة التي لا نبات فيها، وأرى أن هذين الاستعمالين يلازمهما معنى الملاسة والتجرد، حيث استعملت الكلمة لتدل عليهما في قوله صرح ممرد مملس، ومردت الشيء إذا صقلته، وأطلق هذا اللفظ ليدل مجازاً على وصف الشيطان لتعريه من الخير كما تتعرى أغصان الشجرة من الورق وينقى الوجه من الشعر، واستعمل القرآن اللفظ بهذا المعنى المجازي في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: "**وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا**" (النساء: ١١٧)، وقوله: "**وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**" (الحج: ٣)، وقوله: "**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**" (الصافات: ٦ – ٧).

ولعلهم ألحقوا بهذا التشبيه الرجل العاتي فأطلقوا عليه المارد وذلك لما يتصور في الشيطان من عتو، ولأن العتو وإرادة الخير لا يجتمعان، وأما ما قاله ابن عرفه في أن التمرد: يدل على الظهور في الشجرة المتجردة أغصانها من الورق، فهو معنى لازم للتعري، ونحوه ما نقل عن ابن الأعرابي بأن المرد: التطاول لأن تجرد الشجرة من الأوراق يظهرها كذلك، ومن هنا استعمل اللفظ مجازاً ليدل على البناء الطويل كما ذكر ابن فارس.

واستميح الإمام الفراء عذراً في معارضة قوله بأن أصل التمرد: التمرن والاعتياد، لأن التمرد على الضد من التمرن، يقول ابن فارس: "المرن الحال والعادة يقال ما زال ذلك مرنه أي حاله، وهو في شعر الكميت، والأمر يمرن عليه الإنسان إذا اعتاده "[44].

قلت: فإذا كان المرن الحال والعادة فإن التمرد خروج

الموصوف به عن حال صنفه وعادته، فمثلاً الشجرة المرداء المتجردة من الورق على خلاف ما تعرف وتوصف بها الأشجار، والوجه الأمرد المتجرد من الشعر على خلاف الحال المعروف عند الرجال.

وأما الموضع الخامس في القرآن الكريم: استعمل فيه اللفظ بالمعنى المجازي وهو قوله تعالى: "**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**" (التوبة: ١٠١)، وسبق ذكر قول ابن الأعرابي في معنى مردوا أي تطاولوا – وذلك لما تبدو عليه الشجرة المتجردة من الورق– ويرى أبو حيان (745هـ) أن أصله الملاسة، والمملس الذي لا يعلق به شيء لملاسته، والمارد الذي لا يعلق به شيء من الفضائل[45]، ويرى أبو السعود (951هـ)، أن معناه تمهروا به[46].

وأقول لعل استعمال لفظ (مردوا) يحتمل هذه المعاني كلها، فهم قد تطاولوا في النفاق، وهم قد تجردوا من الخيرات والفضائل، وتعروا منها، وكل ذلك من باب التشبيه، ولا يصح فيها معنى الظهور، الذي يدل عليه لفظ التمرد في قول ابن عرفه السابق الذكر، وذلك لأنه إن كان معنى مردوداً على النفاق: ظهروا، لا يستقيم مع قوله تعالى: "**لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**" (التوبة: ١٠١)، في نفس الآية.

ولكن يبقى البحث عن سر استعمال هذا اللفظ في وصف المنافقين دون غيره، كلفظ التجرد والتطاول ونحوه فأقول: السر فيما أشرت إليه عند التفريق بين مرد ومرن، وذلك أن في أصل استعمال لفظ (مرد) يدل على خروج الموصوف به من جملة ما عليه ذلك الصنف، وهذا يتفق مع معنى الآية الكريمة، حيث صنفت المنافقين إلى صنفين: الأول من الأعراب منافقون والثاني ومن أهل المدينة مردوا على النفاق، أي وصلوا إلى درجة من النفاق خرجوا به عن جملة ما عليه ذلك الصنف من الناس، أي نفاقهم ليس فيه التطاول والتجرد والتمهر فحسب بل مع كل هذا أيضاً الخروج عما عليه هذا الصنف، كما تخرج الشجرة المتجردة من ورقها عن صنف الأشجار، ولا شك أنه خروج إلى الحال الأسوأ، حيث لم يستعمل اللفظ إلا ليدل على مثل ذلك والله أعلم بمراده.

وأما وصف الله للشيطان بالمرود فهو مع كونه متعريا من الخيرات تشبيها بالشجرة المتجردة من الورق، يفهم معه معنى الخروج عما ينبغي وعن جملة ما عليه من الجن إلى حال الكبر والكفر والمحادة لآدم وذريته.

وَلَـجَ:

ورد لفظ (ولج) بتصريفاته في القرآن الكريم في أربعة عشر موضعاً، أكثرها بالمعنى الحقيقي نحو قوله: "**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**" (سبأ: ٢)، وقوله: "**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**" (آل عمران: ٢٧).

وأما معناه في اللغة:

"الوُلوج: الدخول، والوِلاج: الباب، والوِلاج: الغامض من الأرض والوادي، والوَلَجة: موضع أو كهف يتستر فيه، والوالجة: السباع والحيات لانتشارها بالنهار في الأولاج، والوُلُج: الأزقة والنواحي.

وقال أبو عبيد: كل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة، فالرجل الذي يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة، أي لصيق بهم، ومن المجاز الوليجة البطانة والدخلاء.

وقال ابن فارس: كلمة تدل على دخول الشيء، وقال الراغب: الولوج الدخول في مضيق"[47].

أقول بناء على ما تقدم ولج: دخل، ولكنه ليس كأي دخول إنه دخول فيه استتار في شيء غامض أو ضيق، لذلك قال سبحانه: "**وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**" (الأعراف: ٤٠)، وقال: "**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**" (سبأ: ٢)، فقابل الولوج بالخروج دون الدخول وذلك لأن الخروج في أحواله سواء، وأما الدخول فهو ليس كذلك، ولكي يُظهر كمال علمه قال (وما يلج في الأرض) أي يدخلها في استتار سواء في مكان غامض أو ضيق يعلمه سبحانه، وكذلك عبر عن تداخل الليل بالنهار– والعكس– بالولوج، لأن في أسباب التداخل وكيفيته ونواميسه ما يغمض عن جل البشر.

واستعمل القرآن لفظ (ولج) بمعناه المجازي في قوله: "**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)**" (التوبة: ١٦) والمفسرون على أن وليجة بمعنى بطانة أو خيانة أو خديعة"[48].

وأقول: لعل سر التعبير بالوليجة دون هذه الألفاظ التي ذكرها المفسرون، أن هذا الاتخاذ من دون الله ورسوله والمؤمنين فيه تضيق بالنسبة للاتخاذ المقبول، وأن هذا الاتخاذ فيه استتار وغموض ينافي الظهور– وما هذا إلا من دلالات الاستعمال اللغوي السابق الذكر– وهذا يناسب حال المنافقين المشمولين في الخطاب والداخلين فيه دخولا أوليا[49] المتخذين ذلك، ومما يؤكد هذا ما ختمت به الآية بقوله:"**والله خبيرٌ بما تعملون**" (التوبة: ١٦) دون بصير أو عليم، كما يؤكده أن الله لما نهى المؤمنين عن مثل هذا قال: "**لا تتخذوا بطانةً**" (آل عمران: ١١٨) ولم يقل وليجة، حيث لا استتار ولا غموض من المؤمنين في ذلك الاتخاذ كما هو حال المنافقين، وذلك في قوله سبحانه: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ**

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ" (آل عمران: ١١٨).

وما هذا إلا الاستعمال المجازي، مما يؤكد قيمة دراسة ظاهرة تردد اللفظ القرآني بين الحقيقة والمجاز، حفظاً لهذه اللغة العظيمة في أصالتها وتطورها.

نتائج الدراسة

بعد هذا التجوال والدراسة الميدانية لبعض الألفاظ القرآنية نستطيع تقرير ما يلي:

- ثبت أن تردد اللفظ القرآني بين الحقيقة والمجاز ظاهرة قرآنية، وقد ثبت دوره في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها.
- حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من النقص والاندثار، وجعل لها الصدارة والعالمية بين لغات البشر لقرون من الزمان مع امتداد دولة الإسلام، وكان دافعاً لتلك الجهود العظيمة من العلماء الأفذاذ عبر العصور المتطاولة في الدراسات اللغوية المتعددة.
- وتبين بهذه الدراسة أن للقرآن في كل كلمة منه، وفي أساليبه وفي نظمه، حتى في العدول عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أسراراً، إن وقف عليها المتدبرون فمن توفيق الله، وإن عجزوا عن تلمسها فمن تقصيرهم، ويبقى القرآن كلام الله في تعاليه ونوره وإعجازه الذي لا يُبَارى ولا يُجارى.
- إن وضوح المعنى الأصلي للألفاظ العربية وما تطورت إليه، وصلة اللفظة بأسرتها وبأصل اشتقاقها يحول دون اندثارها، ويدفع العجمة والإبهام والغموض الذي يُلاحقها بتداخل أهل اللغات الأخرى بين أهل اللغة العربية، أو بانتقال ألفاظ لغاتهم بسبب الانفتاح العالمي الإعلامي والتقني والتعليمي... وإن القرآن الكريم يضمن هذا الوضوح، فما على المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية إلا تفعيل دوره.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف أقول: ما هذه الدراسة التطبيقية **ونتائجها التي قررت** في ختامها إلا تتصاغر أمام أولئك العلماء الأفذاذ الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله، وما الهمة التي دفعتني لهذه الكتابة إلا تشوقاً ورغبة في العلم، ومحاولة لتذوق فصاحة القرآن وبلاغته.

وأخرج بالتوصيات التالية:

- إحياء معاني الألفاظ العربية من المصنفين والمؤلفين عند تعريفهم للمصطلحات ببيان أصل الاستعمال المادي للفظ ثم المعنوي ووشيجة الارتباط بينهما، ثم انتقاله إلى المعنى الاصطلاحي ووجه العلاقة.
- بث روح التواصل مع كتاب الله لدى طلاب العلم في المؤسسات التعليمية ولدى أفراد المجتمع بالوسائل الإعلامية؛ لأنه القوة الحافظة للغة العربية في أصالتها وتطورها وفي بلاغتها وأساليب نظمها.
- تقرير المفاهيم اللغوية المتوافقة مع إعجاز القرآن الكريم نحو عدم الترادف في معاني الألفاظ لدى طلاب العلم في المراحل المختلفة، لكي لا تضعف اللغة بضعف أهلها، ولا تصيبها العجمة بعجمة أهلها.
- تحرير ألفاظ اللغة العربية مما علق بها، وتعريب الألفاظ الدخيلة عليها ووضع معجم لها، ترعاه مؤسسة تتبع لجامعة الدول العربية.
- عناية المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والإعلانية بحسن اختيار الألفاظ والضبط لتؤدي المعنى الصحيح المتوافق مع أصالة اللغة العربية وتطورها وأساليب نظمها، ووضع رقابة على ذلك.

والله أسأل أن يجزي سائر مشايخنا ومشايخهم خير الجزاء، وخير ما جزى شيخا عن تلامذته، وأن يسدد خطانا إلى ما يرضيه عنا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومعلمنا الخير وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

(1) دراسة قيد النشر في مجلة جامعة مؤتة.
(2) الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط3، (171/1).
(3) ابن النديم، الفهرست، طبعة (8/1).
(4) هو عبد الله العلايلي، من مواليد محلة التكنات في بيروت، عام 1914م، وذهب للدراسة في الأزهر عام 1924م، ورجع واعظاً في الجامع العمري الكبير في بيروت عام 1936م، وعمل في الإصلاح، وله مجموعة رسائل في المفتي والفتوى والأوقاف والمحاكم الشرعية، واشتهر بكتابه "مقدمة لدرس اللغة العربية"، وعين مستشاراً في جامعة الدول العربية عام 1947م، وتوفي عام 1996م.
(5) العلايلي، مقدمة لدرس اللغة العربية، (ص190-191). وانظر: علي، تهذيب المقدمة اللغوية، ط1، (ص99).

(6) هو تيودور نولدكه، مواليد 1836م، كبير المستشرقين الألمان، له دراسات في العربية واللغات السامية وفي القرآن والتاريخ الإسلامي، توفي عام 1930م،

(7) نولدكه، اللغات السامية، ط1، (ص، 79). وانظر: رمضان، الفصول في فقه العربية، ط2، (ص109).

(8) كارل بروكلمان: مستشرق ألماني، مواليد 1868م، اهتم بالدراسات اللغوية، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، وكان من تلاميذ نولدكه، وكانت وتوفي في عام 1956م.

(9) بروكلمان، فقه اللغات السامية، (ص30).

(10) انظر: لعيبي، الترادف في اللغة، (ص 13).

(11) انظر: المرجع السابق، ص (15).

(12) يقول الدكتور إبراهيم أنيس: يُجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات، ثم تطورت إلى الدلالات المجردة. انظر: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م،(ص6). نقلاً عن :loomfield. Leonard Language (419).

(13) الرافعي، تاريخ آداب العرب، (178/1).

(14) المرجع السابق (179/1).

(15) المرجع السابق (180/1).

(16) تلمس السر الإعجازي صنعة تعلمتها من شيخي الأستاذ الدكتور فضل عباس رحمه الله، علماً بأنني لا أقرر وجه السر الإعجازي إلا بعد مراجعة مجموعة من التفاسير القديمة والحديثة تلك التي لها عناية بمثل هذا استرشاداً، وتلاميذ الشيخ وتلاميذهم آلاف انتشروا في العالم، فذكري له لا يوضح هُويتي، فيكون مأخذاً على البحث، وهو من باب إسداء المعروف لأهله.

(17) أبو عودة، دراسة دلالة المصطلحات الإسلامية، (ص 27-28).

(18) حماد، عوامل التطور الدلالي، (ص 201).

(19) لعيبي، الترادف في اللغة، (ص 15).

(20) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ط1، 1993م، (ص77 و81).

(21) الرافعي، تاريخ آداب العرب (164/1).

(22) المرجع السابق(167/1).

(23) المرجع السابق (181/1) بتصرف.

(24) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط1، (ص 84)، وابن منظور، لسان العرب، لم تذكر الطبعة، نسخته مؤسسة التاريخ العربي ط2، 1993م، (170/1) والزبيدي، تاج العروس، (278/7)، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط1، (ص 80).

(25) المواضع هي: في البقرة آية (174، 188، 275) وآل عمران (130) والنساء (2، 4، 6، 10، 29، 161) والمائدة (42، 62، 63) والتوبة (34) والفجر (19).

(26) الراغب، المفردات (ص 80-81).

(27) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 160)، وابن منظور، لسان العرب (532/1) والزبيدي، تاج العروس (153/1)، والراغب، المفردات (ص 150).

(28) الدلالة الأخيرة هذه مستوحاة من المعنى اللغوي الذي سبق ذكره كما جاء في لسان العرب: هو بمعنى المدخل.... وبمعنى ما يغلق.

(29) الحديث ضعيف أخرجه الطبراني عن ابن عباس في المعجم الكبير (11882) والأوسط (2142) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 143) فيه عباد بن زكريا ولم أعرفه، والطبراني في الدعاء (1354) وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف جدا.

(30) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 161) وابن منظور، لسان العرب (535/1) والزبيدي، تاج العروس (60/3).

(31) الراغب، المفردات (ص 152).

(32) الحديث رواه البخاري رقم (6427) ومسلم رقم (1052) ومعنى يُلمُّ: يقْرُب منه ويعتريه/ انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق محمود الطناجي، المكتبة الإسلامية، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها (272/4).

(33) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 293) وابن منظور، لسان العرب (553/1)، والزبيدي، (116/5)، والراغب، المفردات (ص 216).

(34) قلت: هو أبرز دلالة لأن كلمة حبط استعملت عند العرب في كل انتفاخ كما قال ابن سيده: ويطلق على الورم في الضرع وغيره وقد سبق ذكر هذا عند بيان المعنى في اللغة.

(35) الحديث ضعيف أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث خالد الجهني بإسناد فيه جهالة، كما قال العراقي في تخريج الإحياء (759/2) وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (80/5 و483) وهو مشهور من كلام بعض السلف.

(36) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 294) وابن منظور، لسان العرب (28/3)، والزبيدي، تاج العروس (7/ 369)، والراغب، المفردات (ص 217).

(37) بل إنه ارتقاء حقيقي، فروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" رواه الترمذي رقم (2914) وقال حسن صحيح ،وأبو داود رقم (1466).

(38) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 339)، وابن منظور، لسان العرب (9/4)، والزبيدي، تاج العروس، (450/1)، والراغب، المفردات (ص 272).

(39) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 324)، وابن منظور، لسان العرب (24/3)، والزبيدي، تاج العروس (8/

266)، والراغب، المفردات (515).

(40) الراغب، المفردات (515).

(41) انظر مثلاً: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ط4، (289/6)، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ط1، (69/2).

(42) رواه أحمد في مسنده (7920) من حديث أبي هريرة، والترميذي في سننه (2545) عن معاذ بن جبل وقال الحديث حسن غريب ولفظه عنده "يدخل أهل الجنة جردا مرداً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين".

(43) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (982)، وابن منظور، لسان العرب (7/13)، والزبيدي، تاج العروس (499/2)، والراغب، المفردات (764).

(44) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 981).

(45) ابو حيان، البحر المحيط، ط1، (364/3).

(46) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (4/ 97).

(47) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص 1105)، وابن منظور، لسان العرب (391/15) والزبيدي، تاج العروس (112/2)، الراغب، المفردات(ص 882).

(48) الطبري، جامع البيان، ط1، (333/6) والآلوسي، روح المعاني، ط1، (257/5).

(49) يرى بعض المفسرين: أن الخطاب لمن شق عليه القتال من المؤمنين أو المنافقين، انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم(50/4) والآلوسي، (روح المعاني (257/5)، بينما حصر الخطاب في المنافقين، أبو حيان، البحر المحيط (20/5)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (139/10).

المصادر والمراجع

الآلوسي، محمود، روح المعاني، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تحقيق محمود الطناجي وطاهر الزاوي، المكتبة الإسلامية، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.

أنيس، إبراهيم، ط1980م، دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية.

بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، ط1977م، مطبوعات جامعة الرياض.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، 1991م، أنوار التنزيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

حماد، أحمد عبد الرحمن، عوامل التطور اللغوي، دار القلم، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.

أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق معوض وعادل عبد الموجود، 1993م، دار الكتب العلمية، ط1.

الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق أحمد زهوة، ط2004م، دار الكتاب العربي، بيروت.

الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، تحقيق وطباعة دار إحياء التراث العربي، 1995م، ط1.

الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان، 1992م، دار القلم، دمشق، ط1.

الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، حققه محمد سعيد العريان، 1953م، مطبعة الاستقامة القاهرة، ط 3.

زاده، محي الدين، حاشيته على البيضاوي، المكتبة الإسلامية، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، دار ليبيا، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م.

أبو السعود، محمد العمادي، 1994، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث، ط4.

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، طبعة مصرية مصورة لم تذكر الدار ولا تاريخ الطبعة.

عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، لم تذكر السنة.

العلايلي، عبد الله، مقدمة لدرس اللغة العربية، وزارة المعارف، مصر، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.

علي، أسعد، تهذيب المقدمة اللغوية، دار النعمان، بيروت، ط1، 1968م.

أبو عوده، عودة، 1981م، دراسة دلالية للمصطلحات القرآنية، رسالة ماجستير، القاهرة.

ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، 1994، دار الفكر، ط1.

ابن فارس، أحمد، الصاحبي، تحقيق عمر فاروق، 1993م، مكتبة المعارف، ط1.

لعيبي،حاكم مالك، 1980م، الترادف في اللغة، منشورات وزارة الثقافة العراقية.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب اعداد يوسف الخياط ومرعشلي، 1993م، لم تذكر الطبعة، نسخته مؤسسة التاريخ العربي، ط2.

ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق رضى تجدد، ط1391هـ، مكتبة الأسدي، طهران.

نولدكه، تيودور، اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، 1963م، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط1.

Semantic Development and the Role of Quran in Preserving the Arabic Language as to its Originality and Development

*Ali Allan**

ABSTRACT

The Holy Quran has preserved the Arabic language from imperfection and extinction, and made it a lingua-franca for many centuries.

The terminology of a living language keeps pace with the novelties of its speakers. The researcher discusses the role of Quran in preserving the Arabic language as to its originality and development, and showed a prelude: outlined the views of the scholars in prouded time to find out the meanings of words in Arabic language, and mentioned the argues of the Orientalists, which recognizes the impact of the Quran on it, then the study discussed the dilemma of the semantic development in the terminology of Arabic language by using the opulent scientific data, and finally, the results of this study.

Keywords: The Holy Quran, Arabic Language.

* Al-Balqa Applied University, Salt, Jordan. Received on 20/6/2013 and Accepted for Publication on 3/10/2013.